فواللهِ إنه ـ بعْدَ مَقْدمنا بأشهرٍ ـ مع أخيه لَفِي بَهْمٍ[1] لنا خلَف بُيوتنا إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاكَ أخي القرشيُّ قد أخذه رَجُلاَنِ عليهِما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ، فهما يَسُوطانه[2] قالت: فخرجتُ أنا وأَبُوهُ نَحْوَهُ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وَجْهُهُ[3] قالت: فَالْتَزَمْتُهُ والتزَمُه أَبُوهُ، فقلنا له: مَالكَ يَا بُنَيَّ؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بِيضٌ فأَضْجَعَانِي وشَقَّا بَطْني، فالْتَمَسا فيه شيئاً لا أَدْرِي مَا هُوَ، قالت: فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا، قَالَتْ: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خشيت أَنْ يَكُونَ هذا الغلام قَدْ أُصِيبَ، فَأَلْحِقيه بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ.

حليمة تخاف فترجع به إلى أمه

قالت: فاحتملناهُ فقدمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فقالت: ما أَقْدَمَكِ به يا ظِئْر[4] وقد كُنْتِ حَرِيصَةً عليه وعلى مُكثه عِنْدَكِ؟ قالت: فقلت: نَعَمْ قد بَلَغَ الله بِابني وقَضَيْتُ الَّذِي عليّ[5]، وتخوَّفْتُ الأحدَاثَ عليه، فأدَّيْتُه عليك كما تحبين، قالت: مَا هَذَا شَأْنَكِ فأصدقيني خَبَرَكِ، قالت: فلم تَدَعْني حتى أخبرتها، قالت: أَفَتَخَوَّفْتِ عليهِ الشَّيْطَانَ؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كَلاَّ!! واللهِ ما للشَّيْطَانِ عليهِ مِنْ سَبِيلٍ، وإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأنا، أفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بَلَى، قالت: رأيتُ حِينَ حملتُ به أنهُ خَرَجَ مِنِّي نورٌ أضاء لي به قصورُ بُصْرَى[6] من أرضِ الشَّامِ، ثم حملتُ به، فواللهِ ما رَأيت مِنْ حَمْلٍ قَط كان أخفَّ ولا أيْسَرَ منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضعٌ يَدَهُ بالأرضِ، رافعٌ رأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دعيه عنك وانطلقي راشدةً [١٢٠].

---

[١٢٠] إسناده ضعيف مسلسل بالعلل. =

---

(١) البَهْمُ: الصِّغار من الغنم، واحدتها بهمة.

(٢) فهما يسوطانه، يقال: سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه، إذا ضربت بعضه ببعض وحركته. واسم العود الذي يضرب به المسوط.

(٣) منتقعاً وجهه: أي متغيراً، يقال انتقع وجه الرجل إذا تغير، ويقال: امتقع بالميم أيضاً.

(٤) الظِّئْرُ: أصل الظِّئر الناقة التي تعطف على ولد غيرها فتدر عليه، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئراً بذلك.

(٥) قال السهيلي: «وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين: إحداهما بعد تزوجه خديجة رضي الله عنها، جاءته تشكو إليه السنة وإن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من الغنم بقرات، والمرة الثانية يوم حنين» اهـ كلامه.

(٦) بُصرى: مدينة من أرض الشام، وتقدم بيانها.

قال ابن إسحاق: وحدثني ثَوْرُ بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكَلاَعِيِّ، أن نفراً من أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: يا رسولَ الله، أخبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، قال: «نَعَمْ، أنَا دَعْوَةُ أبِي إبْرَاهِيمَ، وبُشْرَى أخي عيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّام[1]، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْماً لَنَا إِذْ أَتَانِي رَجُلاَنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجاً فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلاَ قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ» قَالَ: «ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ، فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ ـ قَالَ: زِنْهُ بِمَائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ، فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا» [١٢١].

= جهم بن أبي جهم

قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٥٩) جهم بن أبي جهم عن أبي جعفر بن أبي طالب وعنه ابن إسحاق لا يعرف له قصة حليمة السعدية. وقد صرح بجهالته الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (١٥٣) فقال: مجهول وذكره ابن حبان في «الثقات».

وجهم أيضاً لم يسمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولا رواية لعبد الله بن جعفر عن حليمة والحديث أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٩٣ ـ ٩٧) رقم (٧١٦٣) وابن حبان (٢٠٩٤ ـ موارد) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٦) والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢١٢ ـ ٢١٥) رقم (٥٤٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٧٤ ـ الجزء الخاص بالسيرة) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥) من طريق ابن إسحاق أيضاً وقال: وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي. اهـ.

قلت: وشهرته لا تعني صحته. والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ١٦٧ ـ ١٧١) وعزاه لإسحاق وأبي يعلى.

[١٢١] إسناده جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٥). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٣٥) والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وللحديث شواهد من حديث أبي ذر وأبي بن كعب. =

---

(١) قال السهيلي في تأويل هذا النور: «ذلك ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ﷺ؛ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر في نخيل يثرب، فقصها على أخيه عمرو بن العاص، فقال: إن زمزم حفيرة عبد المطلب، وإن هذا النور منهم؛ فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام» اهـ كلامه.

الأنبياء جميعًا رعوا الغنم

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ نَبِيّ إِلاَّ وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ»[1] قيلَ: وَأَنْتَ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَأَنَا» [١٢٢].

= ـ حديث أبي ذر
أخرجه الدارمي (١/ ٩) وابن عساكر (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) من طريق عروة بن الزبير عن أبي ذر الغفاري به.
ـ حديث أبي بن كعب
أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٩) وابن عساكر (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) من طريق محمد بن معاذ بن محمد عن أبي بن كعب به وذكره الحافظ الهيثمي في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٦) وقال: ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان.

[١٢٢] ذكره ابن هشام هكذا عن ابن إسحاق دون إسناد لكن الحديث صحيح وقد ورد من حديث أبي هريرة، وجابر.
ـ حديث أبي هريرة
أخرجه البخاري (٥/ ١٩٩) كتاب الإجارة: باب رعى الغنم على قراريط حديث (٢٢٦٢) وابن ماجه (٢/ ٧٢٧).
ـ حديث جابر
أخرجه البخاري (١٠/ ٧٢١) كتاب الأطعمة: باب الكباث وهو ورق الأراك حديث (٥٤٥٣) ومسلم (٣/ ١٦٢١) كتاب الأشربة: باب فضيلة الأسود من الكباث حديث (١٦٣/ ٢٠٥٠) وأحمد (٣/ ٣٢٦).

---

(١) قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: الحكمة في إلهام رعي الغنم قبل النبوة: أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما سيكلَّفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفهاواحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسيرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلِّفوا القيام بذلك من أول وهلة لما تحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها. وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنَّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ﷺ وعليهم أجمعين.
وفي الفتاوى نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعي: أنه يعزر من قال: كان النبي ﷺ راعي غنم. إذا عيِّر برعيها.
ينظر السبل (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

اعتزاز النبي ﷺ بقبيلته وبمن أرضع فيهم

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ لأصحابه: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ؛ أَنَا قُرَشِيٌّ وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [١٢٣].

قال ابن إسحاق: وَزَعَمَ النَّاسُ، فيما يتحدثون، واللهُ أَعْلَمُ، أن أمه السَّعْدِيَّةَ لَمَّا قَدِمَتْ بِهِ مَكَّةَ أَضَلَّها فِي النَّاسِ وهي مُقْبِلَةٌ به نحو أهلِهِ؛ فَالْتَمَسَتْهُ، فَلَمْ تَجِدْهُ، فَأَتَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فقَالَتْ لَهُ: إِنِّي قَدْ قَدِمْتُ بِمُحَمَّدٍ هذِهِ اللَّيْلَةَ، فلما (٣٠/ب) كنتُ بِأَعْلَى مَكَّةَ أَضَلَّنِي، فواللهِ ما أَدْرِي أَيْنَ هُوَ، فَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عند الكَعْبَةِ يدْعُو اللهَ أَنْ يَرُدَّهُ، فيزعمون أَنَّهُ وَجَدَهُ وَرَقَةُ بْنُ نوفل بْنِ أَسَدٍ وَرَجُلٌ آخر مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَتَيَا بِهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فقالا لَهُ: هَذَا ابْنُكَ وجدناه بِأَعْلَى مَكَّةَ؛ فأخذه عَبْدُ المطلب، فجعله على عُنُقِهِ وهو يطوف بالكعبة: يُعَوِّذُه، ويَدْعُو له، ثُمَّ أُرسلَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ آمنةَ [١٢٤].

قوم من نصارى الحبشة يحاولون أخذ النبي من حليمة مرضعته

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أَهْلِ العلم، أن مما هاج أُمَّهُ السَّعدِيَّة على رَدِّه إلى أُمِّه ـ مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ـ أَنَّ نَفَراً مِنَ الحبشة نَصَارَى رَأَوْهُ معها حين رَجَعَتْ به بَعْدَ فِطَامِهِ، فَنَظَروا إِلَيه، وَسَأَلُوهَا عَنْهُ، وقلّبوهُ، ثُمَّ قَالُوا لَهَا: لَنَأْخُذَنَّ هذا الغلام فَلَنَذْهَبَنَّ به إلى ملكنا وبلدنا؛ فإنَّ هَذَا غُلاَمٌ كائنٌ لَهُ شَأْنٌ، نحنُ نعرفُ أَمْرَهُ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تَنْفَلِتُ به مِنْهُمْ [١٢٥].

---

[١٢٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٧) نقلاً عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٩١) أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا زكريا بن يحيى بن يزيد السعدي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر.
وإسناده ضعيف جداً، الواقدي أحد المتروكين وله شاهد مرفوع من حديث أبي سعيد الخدري. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٣٥ ـ ٣٦) رقم (٥٤٣٧) من طريق مبشر بن عبيد عن الحجاج بن أرطأة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن. والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢١) وقال: وفيه مبشر بن عبيد وهو متروك. قلت: وفيه أيضاً عنعنة الحجاج وعطية وهما مدلسان. والحديث ذكره الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٣٦٤) وقال: سنده ضعيف.

[١٢٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٩ ـ ١٤٥) عن ابن عباس مطولاً. وفي إسناده محمد بن زكريا الغلابي وهو متهم بوضع الحديث. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٩٠ ـ ٩١) بنحوه. أخبرنا محمد بن عمر عن أصحابه فذكره والواقدي متروك.

[١٢٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٧) عن ابن إسحاق.

وفاة أمه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أُمِّه آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وجدِّه عبدِ المطلب بن هاشم في كَلاَءة اللهِ وحفظهِ يُنبتُه اللهُ نَبَاتاً حَسَناً؛ لما يريد به مِنْ كَرَامتِهِ، فلمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّ سنين تُوفِّيت أُمُّهُ آمِنَةُ بنت وَهْبٍ [١٢٦].

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أمَّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمِنَة تُوُفِّيَتْ ورسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن سِتِّ سنين بالأبْواءِ بَيْنَ مكَّة والمدينة: كانت قَدْ قَدِمَتْ به على أخواله من بني عَدِيِّ بن النَّجَّار تُزيرُهُ إيَّاهُمْ، فَمَاتَتْ وهي راجعة به إلى مَكَّةَ [١٢٧].

قال ابن هشام: أمُّ عبد المطلب بن هاشم سَلْمَى بنت عمرو النجارية، فهذه الخؤلة الَّتِي ذكر ابنُ إسحاق لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم.

كفالة جده عبد المطلب له ورعايته إياه

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع جَدِّهِ عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَعُ لعبد المطلب فِرَاشٌ في ظِلِّ الكعبة؛ فكان بَنُوه يَجْلسون حَوْلَ فراشِهِ ذلك حَتَّى يخرج إليه، لا يجلس عليه أَحَدٌ من بنيه إجْلاَلاً لَهُ، قال: فكان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي وَهُوَ غُلامٌ جَفْرٌ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فيأخذه أعمَامُهُ ليؤخرُوه عنه، فيقول عبد المطلب إذَا رأى ذَلِكَ منهم: دَعُوا ابْنِي؛ فَوَاللهِ إنَّ لَهُ لَشَأْناً، ثم يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَيْهِ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ويَسُرُّه ما يراه يَصْنَعُ [١٢٨].

---

[١٢٦] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٠) عن ابن إسحاق.
وينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٣) لابن سعد.

[١٢٧] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٨) من طريق ابن إسحاق. وإسناده ضعيف لإعضاله.
والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٠) من طريق ابن إسحاق به. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٣) من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم به. وله أسانيد أخر عند ابن سعد وفيها محمد بن عمر الواقدي وهو متروك.

[١٢٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢١ ـ ٢٢) من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٣). وينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٤ ـ ٩٥).

وَفَاةُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَمَا رُثِيَ بِهِ مِنَ الشِّعْرِ

فلما بَلَغَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثماني سِنِينَ هَلَكَ عبدُ المطلب بن هاشم، ودلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحاق: وحدثني العبَّاس بنُ عبد الله بن مَعْبَد بن العَبَّاس، عن بَعْضِ أهله، أن عَبْدَ المطلب تُوُفِّيَ ورسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنُ ثماني سنين [١٢٩].

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سَعيد بن الْمُسَيّب، أن عبد المطلب لمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ؛ جَمَعَ بَنَاتَهُ ـ وكُنَّ ستَّ نسوةٍ: صَفِيَّةَ، وبَرَّة، وعَاتِكة، وأمّ حكيم البَيْضَاء، وأُمَيْمَةَ، وأرْوَى ـ فقال لهن: ٱبْكِينَ عَلَيَّ حتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُلْنَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ [١٣٠].

قال ابن هشام: ولم أر أَحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلاَّ أَنَّهُ لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه (٣١/أ).

صفية بنت عبد المطلب تبكي أباها

فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباها [من الوافر]:

أَرِقْتُ لِصَوْتِ نَائِحَةٍ بِلَيْلٍ ... عَلَىٰ رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ[1]

فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكُمُ دُمُوعِي ... عَلَىٰ خَدِّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ[2]

---

[١٢٩] إسناده ضعيف لجهالة شيوخ العباس والعباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي. قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٩٧) ثقة. والحديث أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» الجزء الخاص بالسيرة (١/ ٦٨) من طريق ابن إسحاق. لكن وقع عنده ابن ست سنين وهو خطأ صوابه كما في السيرة.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٨٨) من طريق يونس عن ابن إسحاق قال: ومات عبد المطلب والنبي ﷺ ابن ثمان سنين. وينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٥) و«البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٣) و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٠٢ ـ ١٠٤).

[١٣٠] إسناده ضعيف

محمد بن سعيد بن المسيب. قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٦٥) مقبول. قلت: يعني عند المتابعة وإلا فهو لين الحديث كما نص على ذلك الحافظ في مقدمة التقريب. ثم إنه لم يدرك هذه القصة أصلاً. والأثر أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٦) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) الصعِيدُ: وجه الأرض، وقارعته: ما ظهر منها ووطئته الأقدام.

(٢) الفَرِيدُ: الخيط المنظوم باللؤلؤ والجمان. والجمان: حَبٌّ يصاغ من الفضة على مثال الجوهر.

عَلَىٰ رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغْلٍ ... لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ[1]
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي ... أَبِيكِ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ[2]
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ ... وَلاَ شَخْتِ الْمَقَامِ وَلاَ سَنِيدِ[3]
طَوِيلِ الْبَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِيٍّ ... مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ[4]
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فُضُولٍ ... وَغَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْحَرُودِ[5]
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِي وُصُومٍ ... يَرُوقُ عَلَى الْمُسَوَّدِ وَالْمَسُودِ[6]
عَظِيمِ الْحِلْمِ مِنْ نَفَرٍ كِرَامٍ ... خَضَارِمَةٍ مَلاَوِثَةٍ أُسُودِ[7]
فَلَوْ خَلَدَ امْرُؤٌ لِقَدِيمِ مَجْدٍ ... وَلٰكِنْ لاَ سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَلَّداً أُخْرَى اللَّيَالِي ... لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ التَّلِيدِ[8]

برة بنت عبد المطلب تبكي أباها

وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكي أباها [من المتقارب]:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِدَمْعٍ دُرَرْ ... عَلَى طَيِّبِ الْخِيمِ وَالْمُعْتَصَرْ[9]
عَلَىٰ مَاجِدِ الْجَدِّ وَارِي الزِّنَادِ ... جَمِيلِ الْمُحَيَّا عَظِيمِ الْخَطَرْ[10]
عَلَىٰ شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ ... وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرْ

---

(١) الوغل: الفاسد. وقولها: المبين على العبيد: أرادت العباد، فأوقعت العبيد موقعه.
(٢) الفيّاض: الكثير الجود.
(٣) والنكس: الدّني من الرجال. والشَّخْتُ: الحقير الدقيق هنا. والسَّنِيدُ: الذي يسند أموره إلى غيره.
(٤) والأروعُ: الذي يروعك بجماله. والشَّيْظَمِيُّ: الطويل من الفتيان هنا.
(٥) قال الشيخ أبو ذر: ابْلَجُ بالجيم: مشهور، وبالخاء: متكبِّر. والزمن الجرود: بالجيم زمن القحط، لأنه يجرِّد الأرض من النبات، ومن رواه: بالحاء المهملة فمعناه الذي يمتنع قطره، لأن حرد قد تكون بمعنى قطع ومنع. ومنه قولهم: «حاردت الناقة» إذا منعت درَّها أي لبنها.
(٦) الوُصومُ: العيوب واحدها وصم.
(٧) الخَضَارِمةُ: الأجواد الذين يكثر عطاؤهم. والملاوثة هنا: جمع ملواث وهو القوي الشديد.
(٨) الحسب التليد: القديم.
وذكر السهيلي البيت الثاني من هذه الأبيات في الروض الأنف (١/ ١٩٥)، وكذا عجز البيت الخامس (١/ ١٩٦).
(٩) عَيْنَيَّ جُودا بدمع درر، أي: سائل. والخيم: الخلق الحسن، ويقال: الأصل. والمُعْتَصَرُ: الأصل.
(١٠) واري الزناد: أي مسعود فيما يحاوله. والخطر: القدر.

وَذِي الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجَرْ[1]
لَهُ فَضْلُ مَجْدٍ عَلَىٰ قَوْمِهِ ... مُنِيرٍ يَلُوحُ كَضَوْءِ الْقَمَرْ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشْوِهِ ... بِصَرْفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرْ[2]

عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها

وقالت عاتكة بنت عبد المُطَّلِبِ تبكي أباها [من المتقارب]:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلاَ تَبْخَلاَ ... بِدَمْعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ
أَعَيْنَيَّ وَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبَا ... وَشُوبَا بُكَاءَكُمَا بِالْتِدَامْ[3]
أَعَيْنَيَّ وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا ... عَلَىٰ رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسٍ كَهَامْ[4]
عَلَىٰ الْجَحْفَلِ الْغَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِيِّ الذِّمَامْ[5]
عَلَىٰ شَيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِي الزِّنَادِ ... وَذِي مَصْدَقٍ بَعْدُ ثَبْتِ الْمَقَامْ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمْصَامَةٍ ... وَمُرْدِي الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامْ[6]
وَسَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَلْقُ الْيَدَيْنِ ... وَفِي عُدْمُلِيٌّ صَمِيمٌ لُهَامْ[7]
تَبَنَّكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ ... رَفِيعُ الذُّؤَابَةِ صَعْبُ الْمَرَامْ[8]

---

(١) جمٌّ: كثير. والفجَر: بالجيم العطاء الكثير، وبالخاء المعجمة الفخر.

(٢) فلم تشوه: أي لم تخطه، يقال: رماه فأشواه إذا أخطأه، ورماه فشواه إذا أصاب مقتله.
وذكر السهيلي صدر البيت الأخير في الروض (١/١٩٦) ونسب هذه الأبيات ابن سعد في الطبقات الكبرى إلى أميمة بنت عبد المطلب. ينظر: أنساب الأشراف (١/٨٦)، وينظر: الطبقات الكبرى (١/٩٥).

(٣) اسْحَنْفِرا: أي امتدَّا في البكاء واجمعا الدمع، واسكبا: أسيلا، وشوبا: اخلطا، والإلْتِدَامُ: ضرب الصدر باليدين عند الحزن.

(٤) استَخْرِطا: أي أسيلا الدمع، واسجُما: أسيلا أيضاً، والكهام: الذي يقصر في أموره، مأخوذ من السيف الكهام وهو الذي لا يقطع.

(٥) الجَحْفَل: الكثير العطاء، والغمر كذلك.

(٦) الصَّمصامة: السيف القاطع، والمردى: الرجل الذي يفوز على صاحبه عند الخصام.

(٧) عُدْمُلِيٌّ: شديدٌ، وصَميم: خالص، ولهام: شديد أيضاً.

(٨) تَبَنَّك: أي تأصل وتأثل، والباذخ: المشرف العالي.
وذكر السهيلي صدر البيت الأخير من هذه الأبيات في الروض الأنف (١/١٩٨). وينظر: أنساب الأشراف (١/٨٥).

أم حكيم البيضاء تبكي أباها

وقالت أم حَكِيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباها [من الوافر]:

أَلاَ يَا عَيْنُ، جُودِي وَٱسْتَهِلِّي ... وَبَكِّي ذَا النَّدَىٰ وَالْمَكْرُمَاتِ[1]

أَلاَ يَا عَيْنُ، وَيْحَكِ، أَسْعِفِينِي ... بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطِلاَتِ

وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... أَبَاكِ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ[2]

طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي ... كَرِيمَ الْخِيمِ مَحْمُودَ الْهِبَاتِ

وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هِبْرِزِيًّا ... وَغَيْثاً فِي السِّنِينَ الْمُمْحِلاَتِ[3]

وَلَيْثاً حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي ... تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاظِرَاتِ[4]

عَقِيلُ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُرَجَّىٰ ... إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهَنَاتِ[5]

وَمَفْزَعُهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ ... بِدَاهِيَةٍ وَخَصْمُ الْمُعْضِلاَتِ[6]

فَبَكِّيهِ وَلاَ تَسَمِي بِحُزْنٍ ... وَبَكِّي مَا بَقِيتِ الْبَاكِيَاتِ[7]

أميمة تبكي أباها عبد المطلب

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها [من الطويل]:

أَلاَ هَلَكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الْفَقْدِ ... وَسَاقِي الْحَجِيجِ وَالْمُحَامِي عَنِ الْمَجْدِ[8]

وَمَنْ يُؤْلِفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بُيُوتَهُ ... إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْخَلُ بِالرَّغْدِ

كَسَبْتَ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَىٰ ... فَلَمْ تَنْفَكِكْ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ

أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ[9] خَلَّىٰ مَكَانَهُ ... فَلاَ تَبْعَدَنْ فَكُلُّ حَيٍّ إِلَىٰ بُعْدِ

---

(١) اسْتَهِلِّي: أي أظهري البكاء. يقال: استهلَّ الدمع إذا سال وظهر.

(٢) والتيار: معظم الماء، والفرات: الماء العذب، والفرات أيضاً: نهر بعينه.

(٣) الهِبْرِزِيُّ: الحاذق في أموره.

(٤) تَشْتَجِرُ العوالي: أي تختلط الرماح في الحرب، والعوالي: أعالي الرماح.

(٥) الهنات: جمع هنة، وهي كناية عن القبيح.

(٦) مفزعها: ملجؤها، والمعضلات: الأمور الشداد التي لا يعلم كيف التخلص منها.

(٧) ولا تَسَمِي: أرادت ولا تسمي فنقلت حركة الهمزة وحذفتها، وينظر: أنساب الأشراف (١/ ٨٥).

(٨) الراعي العشيرة، معناه: الحافظ لعشيرته، والحجيج: أسم لجماعة الحجاج.

(٩) الفياض: الكثير العطاء.

فَإِنِّي لَبَاكٍ، مَا بَقِيتُ، وَمُوجَعٌ[1] ... وَكَانَ لَهُ أَهْلاً لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِي
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمْطِراً ... فَسَوْفَ أُبَكِّيهِ وَإِنْ كَانَ فِي اللَّحْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْناً لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا ... وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُمَا كَانَ مِنْ حَمْدِ[2]

أروى تبكي أباها عبد المطلب

وقالت أرْوَى بنت عبد المطلب تبكي أباها (٣١/ب) [من الوافر]:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ ... عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ[3]
عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِيٍّ ... كَرِيمِ الْخِيمِ نِيَّتُهُ الْعَلاَءُ[4]
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي ... أَبِيكِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[5]
طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ شَيْظَمِيٍّ ... أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
أَقَبِّ الْكَشْحِ أَرْوَعَ ذِي فُضُولٍ ... لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ[6]
أَبِيِّ الضَّيْمِ أَبْلَجَ هِبْرِزِيٍّ ... قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ[7]
وَمَعْقِلُ مَالِكٍ وَرَبِيعُ فِهْرٍ ... وَفَاصِلُهَا إِذَا الْتُمِسَ الْقَضَاءُ
وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَماً وَجُوداً ... وَبَأْساً حِينَ تَنْسَكِبُ الدِّمَاءُ[8]
إِذَا هَابَ الْكُمَاةُ الْمَوْتَ حَتَّى ... كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ[9]

---

(١) فإني لباك ما بقيت وموجع: أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على معنى الشخص، كما قال [من السريع]:

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ ... مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ ... قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

أي: شخصاً ذا غُربة.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف (١/ ٨٦).

(٣) السَّجِيَّة: الطبيعة.

(٤) أبطحيٌّ: منسوب إلى بطحاء مكة، وهو الموضع السهل منها.

(٥) كفاءٌ: أي مثل.

(٦) الأَقَبُّ: الضامر، والكشح: الخصر، والسناء: الرفعة والشرف.

(٧) والضَّيْمُ: الذل. وأبلج وهِبْرزيٌّ قد تقدم تفسيرها.

(٨) تنسكب الدماء: أي تسيل.

(٩) الكماة: الشجعان واحدهم كميٌّ.

مَـضَـىٰ قُـدُمـاً بِـذِي رُبَـدٍ خَـشِـيـبٍ عَـلَـيْـهِ، حِـيـنَ تُـبْـصِـرُهُ، الْـبَـهَـاءُ[1]

قال ابن إسحاق: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيّب أنه أشار برأسه وقد أُصْمِتَ: أنْ هَكَذَا فابكيني.

نسب المسيب بن حزن

قال ابن هشام: المسيب: ابن حزن بن أبي وَهْب بن عَمْرو بن عائذ بن عِمْرَان بن مَخْزوم.

حذيفة بن غالب يبكي عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيْفَةُ بْنُ غَانِم، أخو بني عَدِيِّ بن كَعْب بن لُؤَي، يَبْكِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ هَاشِم بن عَبْدِ مناف، ويذكر فضله، وفضل قُصَيّ على قريش، وفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عليهم، وذلك أَنَّهُ أُخِذَ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فَوَقَفَ بِهَا، فَمَرَّ بِهِ أَبو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بن عبد المطلب فافْتَكَّهُ [من الطويل]:

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا بِـالـدُّمُـوعِ عَـلَـى الـصَّـدْرِ وَلاَ تَـسْـأَمَـا أُسْـقِـيـتُـمَـا سَـبَـلَ الْـقَـطْـرِ[2]
وَجُـودَا بِـدَمْـعٍ وَاسْـفَـحَـا كُـلَّ شَـارِقٍ بُـكَـاءَ امْـرِىءٍ لَـمْ يُـشْـوِهِ نَـائِـبُ الـدَّهْـرِ[3]
عَـلَـىٰ رَجُـلٍ جَـلْـدِ الْـقُـوَىٰ ذِي حَـفِـيـظَـةٍ جَـمِـيـلِ الْـمُـحَـيَّـا غَـيْـرِ نِـكْـسٍ وَلاَ هَـذْرِ[4]
عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِي الْبَاعِ وَاللُّهَا رَبِـيـعِ لُـؤَيٍّ فِـي الْـقُـحُـوطِ وَفِـي الْـعُـسْـرِ[5]
عَـلَـىٰ خَـيْـرِ حَـافٍ مِـنْ مَـعَـدٍّ ونَـاعِـلٍ كَـرِيـمِ الْـمَـسَـاعِـي طَـيِّـبِ الْـخِـيـمِ وَالـنَّـجْـرِ[6]
وَخَـيْـرِهِـمُ أَصْـلاً وَفَـرْعـاً وَمَـعْـدِنـاً وَأَحْـظَـاهُـمُ بِـالْـمَـكْـرُمَـاتِ وَبِـالـذِّكْـرِ
وَأَوْلاَهُـمُ بِـالْـمَـجْـدِ وَالْـحِـلْـمِ وَالـنُّـهَـىٰ وَبِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجْحِفَاتِ مِنَ الْغُبْرِ[7]

---

(١) بذي ربد خشيب، تعني: سيفاً، والربد: الطرائق في السيف. والخشيب: الصقيل هنا، والبهاء: هو حسن الهيئة وعظمها، ومن رواه: الهباء: فهو ما يظهر على السيف المجوهر شبيهاً بالغبار. وينظر: أنساب الأشراف (١/٨٦).

(٢) السَّبل: المطر.

(٣) كل شارق: أي عند طلوع الشمس كل يوم، ولم يشوه: أي لم يخطئه، وفي بعض النسخ زيادة بيت بعد هذا، وهو قوله: ـ

وَسُحَّا وَجُمَّا وَاسْجُمَا مَا بَقِيتُما عَلَى ذِي حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَذِي سِتْرِ

(٤) الحفيظة: الغضب مع عزة، والهذر: الكلام الكثير، في غير فائدة.

(٥) الماجد: الشريف، والبهلول: السيد، واللهى: العطايا، ومن رواه: النهي بالنون، فهي العقول واحدتها نهية.

(٦) النَّجر: الأصل، أو الطبع.

(٧) المُجْحِفَات: التي تذهب بالأموال، والغُبْرُ: السنون المقحطات.

عَلَىٰ شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ ... يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ ذٰلِكَ السَّيِّدُ الْفِهْرِي[1]
طَوَىٰ زَمْزَماً عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْبَحَتْ ... سِقَايَتُهُ فَخْراً عَلَىٰ كُلِّ ذِي فَخْرِ
لِيَبْكِ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ ... وَآلُ قُصَيٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفْرِ[2]
بَنُوهُ سَرَاةٌ كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ ... تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّقْرِ
قُصَيٌّ الَّذِي عَادَىٰ كِنَانَةَ كُلَّهَا ... وَرَابَطَ بَيْتَ اللَّهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ الْمَنَايَا وَصَرْفُهَا ... فَقَدْ عَاشَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ وَالأَمْرِ[3]
وَأَبْقَىٰ رِجَالاً سَادَةً غَيْرَ عُزَّلٍ ... مَصَالِيتَ أَمْثَالَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ[4]
أَبُو عُتْبَةَ الْمُلْقَى إِلَيَّ حِبَاءَهُ ... أَغَرُّ هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرٍ غُرِّ[5]
وَحَمْزَةُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَىٰ ... نَقِيُّ الثِّيَابِ وَالذِّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ
وَعَبْدُ مَنَافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيظَةٍ ... وَصُولٌ لِذِي الْقُرْبَىٰ رَحِيمٌ بِذِي الصِّهْرِ
كُهُولُهُمُ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ ... كَنَسْلِ الْمُلُوكِ لاَ تَبُورُ وَلاَ تَخْرِي[6]
مَتَىٰ مَا تُلاَقِي مِنْهُمُ الدَّهْرَ نَاشِئاً ... تَجِدْهُ بِإِجْرِيَّا أَوَائِلِهِ يَجْرِي[7]
هُمُ مَلَئُوا الْبَطْحَاءَ مَجْداً وَعِزَّةً ... إِذَا اسْتُبِقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
وَفِيهِمْ بُنَاةٌ لِلْعُلاَ وَعِمَارَةٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهُمْ جَابِرُ الْكَسْرِ
بِنِكَاحِ عَوْفٍ بِنْتَهُ لِيُجِيرَنَا ... مِنَ أَعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمَتْنَا بَنُو فِهْرْ (٣٢/أ)
فَسِرْنَا تِهَامِيَّ الْبِلاَدِ وَنَجْدَهَا ... بِأَمْنِهِ حَتَّىٰ خَاضَتِ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ[8]
وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيقُهُمْ ... وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ شُيُوخُ بَنِي عَمْرِو
بَنَوْهَا دِيَاراً جَمَّةً وَطَوَوْا بِهَا ... بِئَاراً تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ[9]

---

(١) الفهرى: منسوب إلى فهر وروي: القَهْرُ، أي الذي يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل ورجل صوم فطر.
(٢) العاني: الأسير.
(٣) غالته: أي ذهبت به وأهلكته، والنقيبة: النفس. ويقال أيضاً: فلان ميمون.. النقيبة، إذا كان يسعد فيما يتوجه له.
(٤) عُزّل: ضعاف لا سلاح معهم، ومصاليت: شجعان، والرُّدينيّة: الرماح.
(٥) والحِبَاءُ: العطاء، وهجان اللون: أي أبيض.
(٦) لا تبور: أي لا تهلك، ولا تحري: أي لا تنقص.
(٧) الناشي: الصغير. وَالإِجْرِيَّا: ما يجري عليه من أفعال آبائه ويتعوّده.
(٨) تهامي البلاد: ما انخفض منها، ونجدها: ما علا منها، والعير: الإبل.
(٩) ثبج الشيء: أعلاه ومعظمه.

لِكَيْ يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا وَغَيْرُهُمْ ... إِذَا ٱبْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ النَّحْرِ
ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ ... مُخَيَّسَةً بَيْنَ الأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ[1]
وَقِدْماً غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً ... وَلاَ نَسْتَقِي إِلاَّ بِخُمٍّ أَوِ الْحَفْرِ[2]
وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ دُونَهُ ... وَيَعْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ[3]
وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الأَحَابِيشِ كُلِّهَا ... وَهُمْ نَكَّلُوا عَنَّا غُوَاةَ بَنِي بَكْرِ[4]
فَخَارِجَ[5]، إِمَّا أَهْلِكَنَّ فَلاَ تَزَلْ ... لَهُمْ شَاكِراً حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ
وَلاَ تَنْسَ مَا أَسْدَى[6] ٱبْنُ لُبْنَىٰ فَإِنَّهُ ... قَدَ ٱسْدَىٰ يَداً مَخْقُوقَةً مِنْكَ بِالشُّكْرِ
وَأَنْتَ ٱبْنَ لُبْنَىٰ مِنْ قُصَيٍّ إِذَا ٱنْتَمَوْا ... بِحَيْثُ ٱنْتَهَىٰ قَصْدُ الْفُؤَادِ مِنَ الصَّدْرِ
وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلاَ فَجَمَعْتَهَا ... إِلَىٰ مَحْتِدٍ لِلْمَجْدِ ذِي ثَبَجٍ جَسْرِ[7]
سَبَقْتَ وَفُتَّ الْقَوْمَ بَذْلاً وَنَائِلاً ... وَسُدْتَ وَلِيداً كُلَّ ذِي سُؤْدَدٍ غَمْرِ[8]
وَأُمُّكَ سِرٌّ[9] مِنْ خُزَاعَةَ جَوْهَرٌ ... إِذَا حَصَّلَ الأَنْسَابَ يَوْماً ذَوُو الْخُبْرِ
إِلَى سَبَإِ الأَبْطَالِ تُنْمَىٰ وَتَنْتَمِي ... فَأَكْرِمْ بِهَا مَنْسُوبَةً فِي ذُرَا[10] الزُّهْرِ
أَبُو شَمِرٍ مِنْهُمْ وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ... وَذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجَبْرِ[11]
وَأَسْعَدُ[12] قَادَ النَّاسَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

---

(١) مخيَّسة: أي مذللة، ويروى: محبَّسة وهو معلوم، والأخاشب: جبال بـ «مكة»، وهما جبلان فجمعهما مع ما يليهما.
(٢) خُمّ: اسم بئر، والحفر: اسم بئر أيضاً، تقدما.
(٣) الهُجْرُ: القبيح من الكلام الفاحش.
(٤) والأحابيش: من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عهدها وذمتها، ونكلوا صرفوا وزجروا.
(٥) فخارج: أراد يا خارجة، فحذف حرف النداء ورخم.
(٦) أسدى: أعطى.
(٧) المحْتِد: الأصل، وجسر: ماض في أموره قوي عليها، والجسر أيضاً، والجسر بفتح الجيم وكسرها: السد الذي يكون في الماء كالقنطرة يجاز عليها.
(٨) غمر: كثير العطاء.
(٩) وأُمُّكَ سرٌّ: أي خالصة النسب.
(١٠) الذرى: الأعالي.
(١١) أبو شمر وعمرو وذو جدن وأبو الجبر وأسعد: كلهم من ملوك اليمن.
(١٢) أسعد: كان أعظمهم. وذكر السهيلي بعض ألفاظ هذه القصيدة في الروض. ينظر: الروض الأنف (١/ ١٩٩) وما بعدها. وكذا ذكر البلاذري بعض أبياتها في أنساب الأشراف.
ينظر: أنساب الأشرف (١/ ٦٦).

قال ابن هشام: قوله «أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خُزَاعَةَ» يعني أبا لهب: أمه لُبْنَى بِنْتُ هَاجَرِ الخُزَاعِيِّ، وقوله «بِإِجْرِيَّا أَوَائِلِه» عن غير ابن إسحاق.

مطرود الخزاعي يرثي عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف [من الكامل]:

يَـأَبْـهَـا الـرَّجُـلُ الْـمُـحَـوِّلُ رَحْـلَـهُ ... هَـلاَّ سَـأَلْـتَ عَـنِ الِ عَـبْـدِ مَـنَـافِ
هَـبَـلَـتْـكَ أُمُّـكَ لَـوْ حَـلَـلْـتَ بِـدَارِهِـمْ ... ضَـمِـنُـوكَ مِـنْ جُـزْمٍ وَمِـنْ إِقْـرَافِ[1]
الْـمُـنْـعِـمِـيـنَ إِذَا الـنُّـجُـومُ تَـغَـيَّـرَتْ ... وَالـظَّـاعِـنِـيـنَ[2] لِـرِحْـلَـةِ الإِيـلاَفِ
وَالْـمُـطْـعِـمِـيـنَ إِذَا الـرِّيَـاحُ تَـنَـاوَحَـتْ ... حَـتَّـىٰ تَـغِـيـبَ الـشَّـمْـسُ فِـي الرَّجَّـافِ[3]
إِمَّا هَـلَـكْـتَ أَبَـا الْـفِـعَـالِ، فَـمَـا جَـرَىٰ ... مِـنْ فَـوْقِ مِـثْـلِـكَ عَـقْـدُ ذَاتِ نِـطَـافِ[4]
إِلاَّ بِـيـكَ أَخِـي الْـمَـكَـارِمِ وَحْـدَهُ ... وَالْـفَـيْـضِ مُـطَّـلِـبٍ أَبِـي الأَضْـيَـافِ[5]

فَلَمَّا هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بن هاشم وَلِيَ زَمْزَمَ والسِّقَايَةَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ العبَّاسُ بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ مِنْ أَحْدَثِ إخوته سِنًّا، فلم تَزَلْ إليه حتى قَامَ الإِسْلاَمُ وهي بِيدِه، فأقرَّها رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ وِلاَيَتِهِ؛ فهي إلى آلِ العَبَّاسِ بولاية العَبَّاس إِيَّاهَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

النبي ﷺ في كفالة عمه أبي طالب

وكان رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وكَانَ عَبْدُ المطلب ـ فيما يزعمون ـ يُوصِي بِه عمه أَبَا طَالِبٍ، وذلك لأَنَّ عَبْدَ اللهِ أَبَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لأَبٍ وَأُمٍّ، أُمُّهُمَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بن عِمْرانَ بن مَخْزُومٍ.

قال ابن هشام: عَائِذٌ: ابن عمرانَ بْنِ مَخْزُومٍ.

---

(١) هَبَلَتْكَ: أي فقدتك وهو على جهة الإغراء، لا على جهة الدعاء، كما تقول: تربت يداك، ولا أبا لك وأشباهها. والإقْرافُ: مقارفة الهجنة والدناءة.

(٢) الظاعنين: يعني الراحلين.

(٣) تناوح الجبلان: إذا تقابلا، والرَّجَّاف هنا: البحر، وتناوحت؛ أي: تقابلت.

(٤) من روى: عقد ذات نطاف، بكسر العين، فالنطاف جمع نُطفة، وهي القرط الذي يعلق من الأذن. ومن رواه: عقد، بفتح العين فالنَّطَاف جمع نُطْفَة من الماء، وهو القليل الصافي منه.

(٥) «أبي الأضياف» يريد أنه كالأب لهم، والعرب تقول لكل جواد «أبو الأضياف».

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَبُو طالبٍ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ رسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ جَدِّهِ؛ فكَانَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ [١٣١].

قال (٣٢/ ب) ابن إسحاق: وحدثني يَحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر، أن أباه حدثه، أن رَجُلاً من لَهِبٍ (قال ابن هشام: ولَهِبٌ من أزْد شنوءة) كَانَ عَائِفاً[1] فكان إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ بغلمانِهُمْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَعْتَافُ لهم فيهم، قال: فَأَتَى بِهِ أَبُو طَالِبٍ ـ وهو غلام ـ مَعَ مَنْ يأتيه؛ فَنَظر إِلَى رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم شَغَله عنه شيءٌ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: الْغُلاَمَ، عَلَيَّ به، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عليه غَيَّبه عنه، فجعل يقول: وَيْلَكُمْ!! ردُّوا عليَّ الغلام الَّذِي رأيتُ آنِفاً، فواللهِ ليكونَنَّ له شَأْنٌ، قال: فانطلق أبو طالب [١٣٢].

قِصَّةُ بَحِيرَىٰ

النبي يتعلق بعمه أبي طالب ليأخذه معه إلى الشام

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ أَبَا طالبٍ خَرَجَ في رَكْب تاجِراً إلى الشَّام، فلما تهيأ للرحيل وأجمعَ المسيرَ صَبَّ[2] به رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما يزعمون، فَرَقَّ لَهُ، وقال: والله لأَخْرُجَنَّ به معي، ولا يُفَارِقُنِي ولا أُفَارِقُهُ أَبداً، أو كما قال، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فلما نَزَلَ الركبُ بُصْرَى من أرضِ الشَّامِ، وبها رَاهِبٌ يقال له بَحِيرَى في صومعةٍ لهُ، وكانَ إليه علمُ أهلِ النصرانيةِ، ولم يزلْ في تِلْكَ الصَّوْمعة منذ قط راهبٌ إليه يصير علمهم عن كِتَابٍ فيها، فيما يزعمونَ، يتوارثُونَهُ كَابِراً عن كَابِرٍ، فَلَمَّا نزلوا ذَلِكَ العَام بِبَحِيرَى، وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبلَ ذلك فلا يكلمهم ولا يعرضُ لهم، حتى كَانَ ذَلِكَ العامُ؛ فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صَنَعَ لهم طَعَاماً كَثِيراً، وذلكَ ـ فيما يزعمونَ ـ عن شيء رآه وهو في صَوْمَعته: يزعمون أنه رَأَى رسولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في صومعته في الرَّكْبِ حين أَقْبَلُوا وغمامَةٌ تُظِلُّه مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، قال: ثُمَّ أَقْبَلُوا فنزلوا في ظل شَجَرَةٍ قريباً مِنْهُ، فَنَظَر إِلَى الغمامة حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ وتهصَّرتْ[3] أغصانُ الشجرة عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله

---

[١٣١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٤) من طريق ابن إسحاق.

[١٣٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) عن ابن إسحاق.

---

(١) العائف هنا: الذي يتفرَّس في خلقة الإنسان، فيخبر بما تؤول حاله إليه.

(٢) صب به رسول الله ﷺ: أي مال إليه. ورق قلبه له، ومن رواه: ضبَّ، فمعناه: تعلَّق به وامتسك.

(٣) تهصَّرت أغصان الشجرة: أي مالت وتدلت، تقول هصرت الغصن، إذا جذبته إليك حتى يميل.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى استظل تحتها، فلمَا رَأى ذَلِكَ بَحيرى نزل من صَوْمعته وقد أمر بذلك الطعامَ فَصُنِعَ، ثم أَرْسَلَ إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طَعَاماً يا معشرَ قريشٍ؛ فأنا أُحِبُّ أَنْ تَحْضُروا كلُّكم صغيرُكم وكبيرُكم وعبدُكم وحُرُّكم، قال له رجل منهم: واللهِ، يا بحيرى، إنَّ لك لشأناً اليومَ ما كنتَ تصنعُ هذا بِنا وقد كنا نمر بِكَ كثيراً!! فما شأنُكَ اليومَ؟ قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقولُ، ولكنكم ضَيْفٌ وقد أحببت أَنْ أكرمكم وأصنعُ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم؛ فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين القوم ـ لحداثةِ سِنِّهِ ـ في رِحَالِ القوم تَحْتَ الشجرةِ، فلما نَظَر بحيرى في القوم ولم ير الصِّفَة التي يَعرفُ ويجدُ عنده قال: يا معشرَ قريشٍ، لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرى، ما تخلَّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غُلاماً وهو أَحْدثُ القوم سِنًّا فتخلَّف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، اذعُوه فلْيَحْضُرْ هذا الطَّعَامَ معكم، قَال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللاَّتِ وَالْعُزَّى إنْ كان لَلُؤْمٌ بنا أَنْ يتخلَّف ابنُ عبد الله بن عبد المطلب عن طَعَامٍ مِنْ بيننا، ثُمَّ قامَ إليه فاحتضنه[1]، وأجْلَسَهُ مَعَ القَوْمِ، فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لَحْظاً شَدِيداً، وينظرُ إِلَى أشياءَ مِنْ جَسَدِهِ، وقد (٣٣/ أ) كان يجدها عنده من صفته، حتَّى إِذَا فَرَغَ القومُ من طعامهم وتفرقوا قامَ إليه بحيرى فقال له: يا غُلامُ، أسألك بحقِّ اللاتِ والعُزَّى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما؛ فزعموا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لاَ تَسْأَلْنِي بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى شَيْئاً، فَوَاللهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئاً قَطُّ بُغْضَهُمَا» فقال بَحيرى: فباللهِ إلا ما أخبرتني عما أَسْأَلُكَ عَنْهُ، فقال له: «سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ» فَجَعَلَ يسأله عن أشياء من حاله: مِنْ نَومِهِ، وهيئتِهِ، وَأُمُورِهِ؛ فجعل رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثُمَّ نَظَر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

قال ابن هشام: وكان مِثل أثر المحجم[2].

بحيرى ينصح لأبي طالب بالعودة بالنبي

قال ابن إسحاق: فلما فَرَغَ أقبل على عمه أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حَيًّا، قال:

---

(١) فاحتضنه: أي أخذه مع حضنه أي مع جنبه.

(٢) المِحْجَمُ: الآلة التي يحجم بها، والحجم: المصدر. وقال السهيلي: يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئاً، وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود.

فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مَاتَ وأمه حُبْلى به، قال: صَدَقْتَ فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحْذَرْ عليه يهود، فواللهِ لئِنْ رأَوْه وعَرَفُوا منه ما عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسْرِعْ به إلى بلادِهِ؛ فخرج به عمه أبو طَالِبٍ سَرِيعاً حَتَّى أقدمه مكةَ حين فرغ من تجارته بالشأم.

قوم من أهل الكتاب يحاولون إيذاء النبي فيردهم بحيرى

فزعموا، فيما روى النَّاسُ، أن زُرَيْراً وتَمّاماً وَدَرِيساً ـ وهم نَفرٌ من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ما رآه بحيرى، في ذلك السَّفَرِ الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه، فَرَدَّهُم عنه بحيرى، وذكَّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجْمَعُوا لما أرادوا به لم يَخْلُصوا إليه، ولم يزل بِهِمْ حَتَّى عرفوا ما قَالَ لَهُمْ، وصَدَّقوهُ بِمَا قَالَ، فتركوه وانصرفوا عنه [١٣٣].

كلاءة الله تعالى نبيه وحفظه منذ نشأته

فَشَبَّ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واللَّهُ تعالىٰ يَكْلَؤُه ويَحْفَظُه ويَحُوطه من أقذارِ الجاهلية؛ لما يريد به مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حَتَّى بَلَغَ أنْ كَانَ رَجُلاً أفضلَ قومه مروءةً، وأحسنَهُمْ خُلُقاً، وأَكْرَمَهُمْ حَسَباً، وَأَحْسَنَهُمْ جِوَارا، وأعظمهم حلماً، وأصْدَقَهُمْ حديثاً، وَأَعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفُحْشِ والأخلاقِ الَّتِي تَدْنَسُ الرِّجَالَ نَنَزُّهاً وتَكَرُّماً، حَتَّى ما اسمه في قَومِهِ إلاَّ «الأمين» لِمَا جَمَعَ الله فيه من الأُمورِ الصَّالِحَةِ.

---

[١٣٣] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦ ـ ٢٩) من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) من طريق ابن إسحاق وقال: هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد له وقد روى نحوه من طريق مسند مرفوع اهـ. قلت: أما الطريق المسند المرفوع والذي أشار إليه الحافظ ابن كثير فأخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٧٩) كتاب الفضائل: والترمذي (٥/ ٥٩٠) كتاب المناقب: باب ما جاء في بدء نبوته ﷺ حديث (٣٦٢٠) والحاكم (٢/ ٦١٥ ـ ٦١٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤ ـ ٢٦) وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (١٠٩) والخرائطي في «الهواتف» كما في الخصائص الكبرى (١/ ١٤١) و«البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٦) كلهم من طريق عبد الرحمن بن غزوان بن نوح قراد أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: أظنه موضوعاً وبعضه باطل. وقال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (١/ ١٤٢) إلا أن الذهبي ضعف الحديث لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالاً فإن أبا بكر لم يكن إذ ذاك متأهلاً ولا اشترى بلالاً وقد قال ابن حجر في «الإصابة» الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته.

وكانَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا ذُكِرَ لِي، يحدِّث عَمَّا كانَ الله يَحْفَظُهُ به في صِغَرِهِ وأَمْرِ جاهليته أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُني في غِلْمَانِ قريشٍ نَنْقُلُ حجارةً لبعضِ مَا يَلْعَبُ به الغِلْمَانُ، كُلُّنَا قد تَعَرَّى وأخذ إزَارَهُ فجعله عَلَى رَقَبَتِهِ يَحْمِلُ عليه الحِجَارَةَ: فإني لأُقْبِلُ مَعَهُم كذلك وأُدْبِرُ إذْ لَكَمَني[1] لاكم ما أراهُ لكمةً وجيعةً؛ ثم قال: شُدَّ عَلَيْكَ إزَارَكَ، قال فأخذتُهُ وشَدَدْتُه عليّ، ثم جعلت أَحْمِلُ الحِجَارَةَ عَلَىٰ رَقَبَتِي[2]، وَإِزَارِي عليَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي» [١٣٤].

حَرْبُ الْفِجَارِ

قال ابن هشام: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنةً، فيما حدثني أبو عُبَيْدة (٣٣/ب) النحويُّ، عن أبي عمرو بن العلاء؛ هاجَتْ حربُ الفجارِ[3] بين قريش ومن معها من كِنَانَةَ، وبين قَيْس عَيْلاَنَ.

---

[١٣٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠ ـ ٣١) من طريق ابن إسحاق به. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) عن ابن إسحاق. وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٤٧).

---

(١) لكمني: أي لكزني.

(٢) قال السهيلي: هذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، كان عليه السلام يحمل الحجارة وإزاره مشدود عليه، فقال له العباس: يا ابن أخي، لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل، فسقط مغشيًا عليه، ثم قال: إزاري، إزاري، فشد عليه إزاره، وقام يحمل الحجارة، وفي آخر أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء أن اشدد إزارك يا محمد، وإنه لأول ما نودي ولعل هذا وقع له ﷺ مرتين: في حال صغره، وعند بنيان الكعبة» اهـ. ومن ذلك ما ذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر يصل به إلى علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما، أي: من فعلهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء، وصوت دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش، فلهوت بذلك الصوت، حتى غلبتني عيني. فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك؛ فقال رسول الله ﷺ: ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية، حتى كرمني الله عز وجل بنبوته».

(٣) الفِجَار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة، كالقتال بمعنى المقاتلة، وذلك أنه كان قتالهم في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً فسمي الفجار. وكانت للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودي.
يوم شَمْطَة: بشين معجمة مفتوحة فميم ساكنة فظاء معجمة.
يوم العَبْلاءِ: بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة ساكنة فلام فألف ممدودة. =

سبب حرب الفجار

وكَانَ الَّذِي هاجها أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ بن عُتبة بن جَعْفر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعَاوية بن بكر بن هَوَازن أجَارَ لَطِيمَةً[1] لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، فَقَالَ لَهُ الْبَرَّاض بن قَيْس أحدُ بني ضمْرة بن بكر بن عَبْدِ مَنَاةَ بن كنانة:

أتجيرُها عَلَىٰ كنَانَةَ؟ قال: نَعَم وَعَلَى الخَلْقِ كُلِّهِ فَخَرَجَ فيها عُرْوة الرَّحَّال، وخرج الْبَرَّاض يطلب غَفْلته، حَتَّى إِذَا كان بتَيْمَنَ ذِي طَلاَّل[2] بالعالية غَفَل عُرْوةُ، فوثب عليه الْبَرَّاض؛ فقتله في الشَّهْرِ الحَرَامِ، فلذلك سُمِّي الفِجَارَ، وقال الْبَرَّاضُ في ذلك [من الوافر]:

وَدَاهِيَةٍ تُهِمُّ النَّاسَ قَبْلِي ... شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرٍ ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلاَبٍ ... وَأَرْضَعْتُ المَوَالِيَ بِالضُّرُوعِ[3]
رَفَعْتُ لَهُ بِذِي طَلاَّلَ كَفِّي ... فَخَرَّ يَمِيدُ كَالْجِذْعِ الصَّرِيعِ

وقال لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مالك بن جعفر بن كلاب [من الوافر]:

أَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي كِلاَبٍ ... وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ لَهَا مَوَالِي
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي نُمَيْرٍ ... وَأَخْوَالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلاَلِ[4]

= يوم شَرَب: بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة.
الحُرَيْرة: بحاء مهملة تصغير حرة.
الأربعة أسماء أماكن.
العَنَابِس: بعين مهملة فنون مخففة فألف فباء موحدة مكسورة فسين مهملة جمع عنبس وهو الأسد.
قال في الصحاح: العنابيس من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو، وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص بعين مهملة فمثناة تحتية فصاد مهملة وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.
ينظر: السبل (٢/ ١٥٣).

(١) اللَّطِيمةُ: الإبل تحمل التجارة والطيب والبزَّ وأشباهها.

(٢) حتى إذا كان بتيمن ذي طلال: الجيد ذي طلال بالتشديد، كما قال:

رفعت له بذي طلأل كفي ... .

وأما قول لبيد:

. . . . . عند تيمنَ ذي طِلاَل

فإنما خففه لضرورة الشعر.

(٣) وأرضعت الموالي بالضروع: أشار إلى قولهم: هو لئيم راضع، وينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٥٣).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٥٤).

بِـأَنَّ الْـوَافِـدَ الـرَّحَّـالَ أَمْـسَـىٰ مُـقِـيـمـاً عِـنْـدَ تَـيْـمَـنَ ذِي طِـلَالِ

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام.

القتال بين الفريقين

فأتى آتٍ قُرَيشاً فقال: إنَّ الْبَرَّاض قد قَتَل عُرْوةَ، وهم في الشهر الحرام بـ «عكاظ»[1]، فارتحلوا وَهَوَازِنُ لاَ تَشْعُرُ بِهِمْ ثمَّ بلغهمُ الخَبَرُ، فأتبعوهم، فأدركُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدخُلُوا الحَرمَ، فاقتتلوا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَدَخَلُوا الْحَرَمَ، فأمسكت عنهم هَوَازِنُ، ثُمَّ التقوا بعد هَذَا اليوم أياماً والقومُ متساندون[2] عَلَىٰ كُلِّ قبيل مِنْ قُرَيْشٍ وكنانة رئيسٌ منهم، وعلى كل قبيل من قيس رئيسٌ منهم، وشهد رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ أَنْبُلُ عَلَىٰ أَعْمَامِي» أَيْ: أَرُدُّ عنهم نَبْلَ عدوهم إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا [١٣٥].

سِنُّ رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفجار وحضوره القتال

قال ابن إسحاق: هَاجَتْ حَرْبُ الفِجَارِ ورسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنُ عشرين سنةً. وإنما سُمِّيَ يَوْمَ الفِجَارِ بما استحلَّ هذان الحيَّانِ كنانةُ وقيس عُيْلاَن فيه من المَحَارِمَ بينَهُمْ، وكان قائدُ قريشٍ وكنانة حَرْبَ بن أُميَّة بن عبد شَمْسٍ، وكان الظَفَر في أول النَّهار لقيس على كنانة، حتى إِذَا كان في وسط النهار كَانَ الظَّفَرُ لكنَانَةَ عَلَى قَيْسٍ [١٣٦].

قال ابن هشام: وحديث[3] الفِجَارِ أطولُ مما ذكرتُ، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُه

---

[١٣٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) عن ابن هشام. وينظر الكلام على حرب الفجار في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١/ ١٠١ ـ ١٠٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

[١٣٦] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) و«سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٥٢).

---

(١) عكاظ: سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيها كل سنة قبل الإهلال بالحج.

(٢) القوم متساندون: أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

(٣) وقد فسر ابن هشام معنى حرب الفجار.
وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال: قد حضرته ـ يعني: حرب الفجار ـ مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلته وكنت أنبِّل على أعمامي.
وكان آخر أيام الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للموعد، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي: يا معشر مضر علام تفانون؟ =